With thanks to the Schimmel Family for their generous sponsorship of Covenant & Conversation, dedicated in loving memory of Harry (Chaim) Schimmel.

The translation to Arabic was made possible through the generous funding of The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion.

"ليخ ليخا" هو النصّ الأسبوعي الثالث من كتاب "بريشِيت" (سِفر التكوين) ويبدأ هذا النصّ الأسبوعي بالآية الأولى من المَقطع الثاني عشر وينتهي بالآية السابعة والعشرين من المَقطع السابع عشر.

شَجاعَةُ السَّيْرِ عَكْسَ التَّيّارِ

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

يتمثّل دور القادة في القيادةِ، لكنَّ ذلكَ لا يعني أنَّهُم لا يتّبعون أيِّ أحدٍ أو أيِّ شيءٍ. غيرَ أنَّ الفرقَ الحقيقيَّ بين القادة وأغلب الناس، هو أنَّ القادةَ لا يسيرون مع التيّار فقط لأنَّهم يرغبون في مسايرة الآخرينَ. فهم لا يمتثلون لمجرد الامتثال، ولا يفعلون ما يفعله الآخرون لمجرّد أن الآخرين يفعلونه. إنَّما يُصغونَ إلى صوتٍ داخليّ، ويتّبعون نداءً خفيًّا، وتنصبّ رؤيتهم على ما يُمكِن أن يحدث في المستقبل، دون أن تقتصر على ما هو موجودٌ حاليًا فحسب. إنّهم يفكرون خارج الصندوق، ويسيرون وفق إيقاعٍ مختلف.

هذا المبدأ في القيادة تمّ التعبير عنه على أكمل وجه في الكلمات الأولى التي قالها اللهُ عزّ وجلّ لِأَفْرَهام/إبراهيم، وهي الكلماتُ التي أطلقت تاريخَ الشَّعبِ اليهوديِّ، والواردة في الآيةِ الأولى من المقطعِ الثاني عشر من سفرِ التكوين: "إِذْ قَالَ اللَّهُ لِأَفْرَهامَ، امْضِ مِنْ أَرْضِكَ وَمَوْلِدِكَ وَبَيْتِ أَبِيكَ، إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي أُرِيكَ". ولِماذا يُعَدُّ هذا المثالُ أعظمَ حادثةٍ تُجسِّد هذا المبدأ، المبدأ القائل إنّ القادةَ قد يتبعونَ الآخرين، لكنّهم يفعلون ذلك استجابةً لصوتٍ داخليّ، واتباعًا لنداءٍ خفيّ؟ إنّ الناسَ بطبيعتِهم يميلون إلى مسايرة الآخرين والانسياق وراءهم .فهم يَتَبَنَّوْنَ معاييرَ المُجتمع، ويتشرَّبونَ ثقافةَ الزمانِ والمكانِ الّذي يعيشون فيه - "أرضِكَ"، ثمَّ إنّهم يتأثّرون بشكلٍ أعمق بالأصدقاءِ والجيران - "مَولِدِكَ"، ويكون التأثير الأشدّ عمقًا ناجمًا عن آبائِهِم وأُسرِهم، الذين يُشكّلون هُوِيّاتِهُم -"بيتِ أبيكَ".

قالَ اللهُ عزّ وجلّ لأفْرَهام إنَّه يُريدُه أن يكونَ مُختلفًا، لا لِمجرَّدِ الاختلاف، بل لِغايَةٍ أسمى، وهي الشروع بأمرٍ جديد، بدينٍ لا يؤلِّهُ القوّةَ ولا رموزَ السُّلطة، فذاكَ في جوهرِه هو ما تتمحور حوله عبادة الأوثانِ سواءً في الماضي أو حتّى في الحاضر. وكما وردَ في الآيةِ التاسعةَ عشرةَ من المقطعِ الثامنَ عشرَ من سفرِ التكوين، يقول الله عزّ وجل عن أفْرَهام: "وَأَنَا مُعْرِفُهُ، أَنَّهُ سَيَأْمُرُ بَنِيهِ وَآلَهُ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ اللَّهِ، لِيَعْمَلُوا بِالْعَدْلِ وَالْحُكْمِ...".

إنّ معنى كونِ المرءِ يهوديًّا، هو أن يكونَ على استعدادٍ لِمُواجهةِ الإجماع السائد حينَ تَنساقُ الأممُ، مرّةً تلو الأخرى، إلى عبادةِ "الآلهةِ القديمة". وقد فعلوا ذلكَ في أوروبا، على مدارِ القرنِ التاسعِ عشرَ وبداياتِ القرنِ العشرين، في عصرِ القوميّات، حينَ كلّفَ السعيُ وراء القوّةِ، وباسمِ الدولةِ القوميّة، البشريّةَ حربَيْنِ عالميّتَيْنِ وعشراتِ الملايينِ من القتلى. ولا يختلف عصرنا اليومَ كثيرًا عن الماضي، معَ وجود دُوَلٍ مثل كوريا الشماليّة تَمتلكُ أسلحةً نوويّةً، وأُخرى كإيران تَسعى وراءَها، لتَفرضَ طُمُوحاتِها بالقوّةِ على العالَم. وإنّنا لنشهد اليومَ انحدار الأُمَمِ إلى هاوية العنف في مناطقَ شاسعةٍ من الشرقِ الأوسطِ وإفريقيا، حيث ينطبق على حالة العنف تلك تعبيرُ "حَربُ الجميعِ ضدَّ الجميع"،[1] الواردِ في كتاب الفيلسوفِ الإنجليزيِّ توماس هوبز.

إنّنا نُخطئُ حينَ نحصر تفكيرنا في الأوثان في مظهرها وأشكالها الماديّة، كالتّماثيلِ والمجسَّماتِ والرُّموز. فبهذا المعنى تبدو الأوثانُ وكأنها بقايا من عصورٍ قديمةٍ تجاوزها الزّمان. غير أنَّ الطريقةَ الصحيحة للتفكير في الأوثانِ وفهمها، هي بالنظرِ إلى ما تُجسِّدهُ وتمثِّلُهُ، إذ إنَّها ترمز إلى القوّةِ والهيمنة. فذلكَ ما كانَ يمثِّلُه الإله رَع للمصريّين، وبَعَل للكنعانيّين، وكَمُوش للمؤابيّين، وزيوس لليونانيّين، وذلكَ بعينِه ما تمثِّلُهُ اليومَ الصواريخُ والقنابلُ بالنّسبةِ للإرهابيّينَ والدُّوَلِ الخارجةِ عن القانون.

فالقوّةُ تَمنحُ الإنسانَ سُلطانًا على الآخرينَ دونَ رضاهُم. وكما قالَ المؤرِّخُ الإغريقي ثوقيديدس: "القويّ يفعلُ ما يحلو له، والضعيف يُعاني مما هو مفروضٌ عليه"[2]. وبَعدَ أن قضيتُ حياتي في تأمُّلِ نصوصِنا المُقدَّسة، توصّلتُ إلى قناعةٍ عميقةٍ مفادها أنَّ الديانةَ اليهوديّةَ في جوهرها هي نَقدٌ مستمرٌّ لِمفهومِ القوّة. فبدلًا من فَرضِ السُّلطةِ على المواطنينَ بالقوّةِ، تُعنى الديانة اليهوديّة ببناءِ أُمّةٍ على أساسٍ من الالتزام المشترك والمسؤولية الجماعيّة، وهي تحمل دعوةً لبناءِ مجتمعٍ يُكرِّمُ الإنسانَ لِكونِه مخلوقًا على صورَةِ الله عزّ وجلّ وكَشَبَهِهِ، وتطمَحُ إلى تشييد عالَمٍ تسودُهُ العدالةُ والرّحمةُ. وحتّى لو لم يتحقّق هذا الأمل المنشود كليًّا، إلّا أنّه يَظلُّ إلى الأبدِ غايةً لا يتخلّى اليهود عنها، وقد ورد تجسيد هذه الغاية الأسمى في الآيةِ التاسعةِ من المقطعِ الحادي عشر من سِفرِ إشعياء: "لا يُسِيئُونَ وَلا يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لِأَنَّ الْأَرْضَ سَتُمْتَلَئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ".

لا شكَّ أنَّ أفْرَهام هو الشخصيةُ الأكثرُ تأثيرًا في تاريخِ البشريّة. إذ يُعتبَر اليومَ السَّلفَ الرُّوحيَّ لما يزيدُ عن نصفِ سكّانِ الأرض، ويشمل ذلك أكثرَ من مِليارين وأربعمائةِ مليون مسيحيّ، ومليارٍ وستمائةِ مليون مسلم، وثلاثةَ عشرَ مليون يهوديّ. ومع ذلك، لم يَحكمْ أفْرَهام أيَّ إمبراطوريّة، ولم يَقُدْ جيشًا، ولم يصنعْ معجزاتٍ، ولم يُعلِن عن نبوءاتٍ .فهو المثالُ الأسمى في التاريخِ كلّه على ما نُطلِق عليه: التأثيرُ دونَ قوّة، وهو مفهومٌ سنتناوله لاحقًا بالمزيد من التفصيل في نَصّ "بيهاعلوتخا".

ولِماذا كانَ هو المثالَ الأعلى؟ لأنَّهُ كانَ على استعدادٍ لأن يكونَ مُختلفًا. وقد لُقِبَ بـ"هَعِفْرِي" (أي العِبريّ)، لأنّ "العالَمَ كُلَّهُ كان على جانبٍ واحد (أي 'بِعِفْر إحَاد' في اللغةِ العبريّة)، وهو كان على الجانبِ الآخَر"،[3] كما قال الحكماء في المِدراش. وكما يعلمُ كلُّ قائد، فإنّ القيادة قد تكونُ مَسيرةً تغلب عليها الوحدة، ومع ذلك، يواصل القائدُ السيرَ لأنّه يَعلمُ أنَّ الأغلبيّةَ لا تكونُ دائمًا على حقّ، وأنَّ اتّباع "الحكمةَ التقليديّةَ" ليست أمرًا حكيمًا دائمًا. فالأسماك الميتة هي مَن تسبحُ

---

1. Thomas Hobbes, *The Leviathan*, ed. Richard Tuck (Cambridge, England: Cambridge University Press, 1991), part 1, ch. 13.

2. Thucydides, 5.89.

3. Genesis Rabba, 42:8.

مع التيّار، أمّا الأسماك الحيّة فهي التي تسبح عكسَهُ. وهكذا هو الحال مع الضميرِ والشجاعةِ. وهكذا هي سيرةُ أبناءِ أفْرَهام، الذين هم على استعدادٍ دائمٍ لتحدّي أوثانِ عَصرِهم.

بعدَ المحرقة (الهولوكوست)، أرّقَ سؤالٌ واحدٌ عُلماءَ الاجتماع: لماذا كانت أعدادٌ كبيرةٌ من الناسِ على استعدادٍ للانخراطِ، سواءً بالمُشاركةِ الفاعلةِ أو بالموافقة الصامتة، في نظامٍ كانوا يعلمونَ أنَّهُ يرتكبُ إحدى أعظمِ الجرائمِ ضدّ الإنسانيّة؟ وقد أجرى عالمُ النفسِ الأمريكي والرائدُ في علم النفس الاجتماعي، سولومون آش، إحدى التجارب الأساسيّة التي تحاول الإجابة عن هذا السؤال، إذ جمعَ مجموعةً من الأشخاصِ وطلبَ منهم أداءَ سلسلة من المهام الإدراكية البسيطة حيث عُرِضتْ عليهم بطاقتان، رُسِمَ على الأولى خطٌّ واحد، وعلى الثانية ثلاثةُ خطوطٍ مُختلفةِ الطول. وطُلب منهم تحديد أيٍّ من الخطوط الثلاثة على البطاقة الثانية له نفس طول الخط على البطاقة الأولى.

وباستثناءِ مشاركٍ واحدٍ، اتفق سولومون آش مسبقًا مع بقيّة المشاركين على أن يجيبوا إجابةً صحيحةً عندما تُعرَض عليهم البطاقاتِ القليلة الأولى، ثم إجابةً خاطئةً عندما تُعرَض عليهم معظم البطاقات المتبقية. والمفاجأةُ كانت أنَّ المُشارِك الذي استُثْنِيَ من ذلك الاتفاق ولم يعلم به، أجاب، في عددٍ كبيرٍ من المحاولات، إجابةً خاطئةً رغمَ علمِه بأنّها خاطئة، لمجرّد قيامِ الآخرين بذلك قبله. وهكذا تَعملُ قوّةُ الانصياع، التي قد تدفعُنا إلى قولِ ما نَعلمُ تمامًا أنَّهُ غيرُ صحيح.

كانَت تجربةُ سجن ستانفورد، التي أجراها فيليب زِمباردو في أوائلِ سبعينيّاتِ القرن الماضي، مثيرةً للقلق أكثر من سابقتِها. حيث طُلِبَ من مجموعةٍ من الطلّابِ الجامعيّين أن يُشاركوا في تجربةٍ تحاكي تجربةِ السجنِ في بناءٍ يشبهه تمامًا، وقد وُزِّعَت عليهم الأدوارُ بشكلٍ عشوائيٍّ بين "حرّاسٍ" و"مسجونين". وفي غضون أيامٍ قليلة، بدأ الطلابُ الذين أُسنِدَت إليهم أدوار الحرّاسِ يُمارسون سُلوكًا عنيفًا وتعسُّفيًّا، حتّى أنّ بعضهم أخضع زملاءه "المسجونين" لتعذيبٍ نفسيٍّ. أمّا الطلّابُ الذين أُسنِدتْ إليهم أدوارُ "المسجونين"، فقد خضعوا بصمت، بل إنَّ بعضَهم انحازَ إلى الحُرّاسِ ضدَّ من تجرّأ من زملائِهِ على الاعتراض. وبعدَ ستّةِ أيّامٍ فقط، أُوقِفَتِ التّجربة، بعدما لاحظَ زِمباردو أنَّهُ، هو نفسه، انجرفَ داخلَ الواقعِ المُصطنَع الذي صَنعهُ بيديه. وما تؤكّده لنا هذه التجربة، هو أنّ ضغط الامتثال للأدوار المحدّدة لنا، حتّى وإن كانت اصطناعيةً، قويٌّ لدرجة أنه يمكن أن يدفع الإنسان إلى القيامِ بما يُدرِكُ تمامًا أنّه خاطئٌ.

ولهذا السبب، أَمَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أفْرَهام في بدايةِ رسالتِه أنْ يترُكَ "أرضَهُ، ومولدَهُ، وبيتَ أبيهِ"، كي يتحرّرَ من ضغط المجتمعِ الذي يُريدُ من أفْرَهام أن يَمْتَثِلَ لأفكاره ومعتقداته. فلا بدّ للقادةِ أن يكونوا مستعدين لئلّا يَنساقوا وراءَ الإجماع. وفي هذا الصدد، يقول وورِن بِنِس، أحدُ أعظمِ الكُتّاب في مجال القيادةِ: "حينَ نصل إلى سنّ البلوغ، يكونُ العالَمُ قد شكّلنا إلى حدٍّ أكبر بكثيرٍ ممّا نُدرِك. فالعائلةُ والأصدقاءُ والمجتمعُ من حولِنا يُخبرونَنا، قولًا وفعلًا، كيفَ ينبغي لنا أن نكون. لكنّ الخطوة الأولى في طريق القيادة لا تتحقّق إلّا حين يُقرِّر الإنسانُ بنفسِه مَن يَكون".[4]

إنّ أحد الأسبابِ التي جعلتِ اليهودَ، على الرّغمِ من قلّةِ عددِهم، يُصبِحونَ قادةً في شتّى مجالاتِ الإبداعِ البشريّ، هي استعدادُهم العميقُ لأن يكونوا مختلفين. فعلى مرِّ القرون، كانَ اليهودُ المثالَ الأبرزَ لجماعةٍ رفضتِ الانصهارَ في الثقافةِ السائدةِ، أو التحوُّلَ إلى ديانةِ الأغلبيّة.

ويوجد نتيجةٌ أخرى لتجربة سولومون آش جديرةٌ بالتأمّل، وهي أنّه لو وَقَفَ شخصٌ واحدٌ فقط إلى جانبِ الفردِ الذي يُدرِكُ أنَّ الآخرينَ يُعطونَ إجابةً خاطئة، لَمَنَحَ ذلك الفردَ القوّةَ على مواجهةِ الإجماع. ولهذا السبب، وعلى الرّغمِ من قلّةِ عددِهم، استطاعَ اليهودُ إنشاء مجتمعاتٍ نابضةٍ بالحياة. ولأنّ القيادةَ مُرهقةٌ حين يكونُ القائدُ وحيدًا، فإنّها تُصبِحُ أقلَّ مشقّةً حينَ يقفُ إلى جانبه آخرون يشاركونه هذا الحِمل الثقيل، ولو كانوا قلّةً.

---

4. Warren Bennis, *On Becoming a Leader* (New York: Basic Books, 1989), 49.

إنّ الديانة اليهوديّةَ هي الصَّوتُ المغاير والبديل في حوارِ البشريّة، والذي يعترض على الرأي السائد حين يكون خاطئًا. ونحنُ، كيهود، لا نَتبَعُ الأغلبيّةَ لمُجرَّدِ أنَّها الأغلبيّة. وعلى مرّ العصور، قرنًا بعدَ قرنٍ، كانَ اليهودُ على استعدادٍ لأن يسلكوا الطريقَ الذي وصفَهُ الشاعرُ روبرت فروست في قصيدتِه الشهيرة "الطريقُ الذي لم يُسلك" (The Road Not Taken):

طَريقانِ تَفرّعا في الغابة،
وأنا،
سَلَكتُ ذاكَ الذي قلَّ أن يسلكَهُ أحد،
وكانَ ذلكَ ما صَنَعَ الفَرقَ كُلَّه.[5]

وهذا بالذاتِ ما يجعلُ من هذا الشعبِ أُمّةً من القادة.

---

5. Robert Frost, *The Road Not Taken, Birches, and Other Poems* (New York: H. Holt and Co., 1916), 10

Arabic Translation by *The Connecting Hamza NGO*
Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University and the generous donation of Mr. Myron Joshua from Kfar Etzion*